*فقه المصائب والبلايا :
(نظرات وحكم في تمكين الأمة وتنظيمها على ضوء النصوص الشرعية)

Abdul Mukti Thabrani
(Jurusan *Ekonomi Syariah STAIN Pamekasan, Jl. Raya Panglegur Km. 4*
Email: abuahlawi@yahoo.com)

Abstrak:

Tuhan menciptakan alam semesta dengan aturan, desain, dan "hukum alam" yang tak tergantikan sampai batas akhir kehidupan alam ini. Di antara aturan main itu adalah adanya musibah dan bencana, yang pasti akan menimpa manusia dan semua makhluk di muka bumi ini, yang diatur oleh-Nya sebagai hukum tersendiri, dan menjadi rukun keenam dari pilar-pilar keimanan, yang dikenal dengan kepercayaan terhadap takdir, yang baik dan yang buruk, sesuai dengan porsinya masing-masing. Tulisan ini mendeskripsikan secara mendalam, dan menggali tentang fiqh musibah dan bencana, dalam konteks pembacaan terhadap wahyu tertulis (*naqlî*) atau tersurat, sebagai pijakan dan acuan dalam memandang aturan main tuhan di muka bumi, dan sebagai bentuk implementasi keimanan terhadap takdir, yang disikapi dengan usaha maksimal, untuk menjadi manusia yang sadar akan peran dan fungsinya sebagai khalifah. Dengan destinasi akhir penguatan umat dan penyadaran kesatuan sebagai kekuatan komunitas Islam. Semua perspektif di atas, dibingkai dalam frame tektualitas syariah yang bersumber dari wahyu.

Abstract:

The God creates the whole world with laws, design and law of nature that cannot be replaced until the end of this world. Some of the laws are the existence of disasters that is surely given to all human beings and all creatures in this world. It is arranged by the Al-Mighty himself and it becomes the sixth pile of IMAN. It is also known as believing to the faith, either the good one or

*Artikel ini merupakan pengembangan lebih lanjut dari makalah yang dipresentasikan dalam forum *AICIS* 2014 di Balikpapan.

the bad one which is suitable with their own portion. This writing is trying to describe deeply and dig about the Fiqh of disasters, in the context of reading the implicit or explicit theorems, as the base and reference in seeing the God's rule on Earth and as the form of implementation of our believing to the faith that can be done with maximum effort to be a good human being who realizes his function as Khalifah. The last destination is to make people strong and realize about the unity as the strength of Moslems. All the perspectives are framed in the Syariah textuality which comes from Revelation.

Kata Kunci:
fiqh, mashâ'ib, balâyâ, naql, tarbiyah al-ummah

مقدمة

مما لا يشك فيه أحد أن السنن الإلهية أو ما تسمى بالمقادير من الحوادث الدنيوية سواء كانت مصائب أو كوارث أو منافع، مما خلق الله به الكون، إن ذلك كله لا يقع صدفة بدون سبب ولاعبسا بدون حساب ولا ارتجالا بدون تقدير. وإنما ثبت ذلك كله بقانون راسخ ثابت لا يعلمه إلا هو سبحانه. وليعلم الجميع أن هذا كله إنما أعدّه الله لأجل المصالح أو على وجه أخص لمصالح الأنام.

وهذا النظام له طريقان ثابتان للكون كله، بل للعالمين أجمعين. الطريق الأول: ما خضع له جميع الكائنات سواء كانت مادية أو روحية، سواء كانت إنسانا أو غيره. وهذا إنما يدل على عظمة الله وقدرته إذ أن عالم المادة لا يعقل. وقد صدق هذا قوله تعالى (*والشمس تجري لمستقرّ لها ذلك تقدير العزيز العليم*)[1] وكذلك الحال في خلق الإنسان من مادة الأرض التي تكون مسكنا ومستقرا

[1]. سورة يس : 38- 40

وطعاما وشرابا. وفي هذا المبدأ صدق قوله تعالى (*ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين. ثم جعلناه نطفة في قرار مكين*).[2]

وهذا النوع من الطريق له سماته منها الاستمرارية والثبات. والذي يدل على ارتباط هذه السمات أن أحكامها مطبقة على الظواهر. قال تعالى (*و أية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون*).[3] والإنسان في هذا الطريق على قدر علومه ومعارفه يستفيد منه كثيرا مع أنه لا يمكن أن يغير هذا النوع وإنما يوسع مجاله مما أعطاه له من العلم والمعرفة الذى يتمثل في السمع والبصيرة بالمشاهدة والتفكير والتأمل والنظر والاجتهاد. وذلك للتعرف على القواعد أوالسنن الإلهية. وهذا المقطع مستفاد من قوله تعالى (*والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيءا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلّكم تشكرون*).[4]

ومعنى هذا أن الله خلق هذه الأشياء لتكون وسيلة للناس على تحصيل العلم والمعرفة والحكمة (بالحس والإدراك العقلي) وبالنظر على تحصيل العلوم المكتسبة المستجدة. وهذا النوع من العلم مشاع لجميع العالم ولايختص للمسلم نفسه إلا في النية. لأنّ نية المسلم هي التي تفرق أوجه الانتفاع في نظر الشريعة الإسلامية.[5]

---

[2]. سورة المؤمنون : 12- 14

[3]. سورة يس : 33

[4]. النحل : 78

[5]. انظر: الألوسي، شهاب الدين البغدادي، *روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني*، دار إحياء التراث العربي، بيروت : 1985، ج 14 ص 201

أما الطريق الثاني من هذه السنن فهو يختص للناس أو البشر ويتجلى ذلك في تصرفاتهم وسلوكهم في الحياة الدنيا وما ينبني عليه حياته من أحوال مختلفة. وهذه السنة كما هي لها معنى خاص في اللغة (الطريقة المتبعة) كذلك لها معنى خاص في هذا الوجه، وهو كما يقوله عبد الكريم زيدان "الطبقة المتبعة في معاملة الله للبشر بناء على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله وأنبيائه وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والأخرة" وفي هذه العبارة تشبيه بالحكم العام للناس.

وليس هناك مخرج لمعرفة هذا كله إلا باللجوء والانضمام أو الانحياز إلى كتاب الله وسنة رسوله. لأنه ليس ثمة أقوال أصدق من هذين الأصلين. وقد تعرض الله عن هذه الأنواع من السنن الإلهية في البلايا والمصائب بأشياء متنوعة ولكنها ثابتة (*وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا*)[6] فمثل هذه الصورة جدير بالدراسة والبحث لأن قصص القرءان (النصوص الشرعية) عبرة ومعرفة ثابتة لكل الأجيال الماضية والغابرة. كما أنه ليس هناك سبيل للتخلص من المصائب والبلايا الدنيوية والاجتماعية والمالية إلا بالتمسك بالعروة الوثقى وهي النصوص الشرعية التي تتمثل في الكتاب والسنة.

المصائب والبلايا: مفهومها وحقيقتها

إن المصائب والبلايا كلاهما يجري على حياة الإنسان مجرى الدم. لأن ذلك سنة من سنن رب العالمين. فالإنسان يخضع لهذا النظام قديما وحديثا لأنه

[6]. الكهف : 59

خلق للعبادة. والتكاليف من الله إنما هي بلايا للإنسان. قال تعالى (*إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا*).[7]

ومعنى "نبتليه" أي أنه خلق للابتلاء والخضوع على البلايا. والهدف الأساسي في خلق الإنسان إنما هو العبادة. فالمصائب والبلايا إنما هي لتحقيق العبودية لله. وهي بمثابة الاختبار والامتحان بالمسؤولية وأمانة التكليف.[8] ومعلوم بالضرورة أن البلايا أو الاختبار يكون بالخير والشر كالقدر خيره وشره من الله. وهذا يحققه في المعنى اللغوي حيث إن معناه البلاء الحادث بالمرء ليختبره.[9] ووجه تسمية التكليف بلاء لأن التكليف مشقة على الإنسان.[10] وقد أوضح الله أن أعمال الناس في العبادة إنما هي اختبار لهم. قال تعالى (*ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم*).[11] والمصائب أو البلايا إنما أنزل الله لحكمة بالغة وهي إذا كانت بالأشياء المسارات للشكر، وإذا كانت بالمضارات للصبر، فكانت جميعا تحت مسمى البلايا.

ومن تتبع أصول كلمة المصائب أوالبلايا في النصوص القرءانية يجد للبلايا مثلا تكرار سبعة وثلاثين مرة كلها يرجع إلى معنى المحنة والتمحيص والتمييز مع الفروق بينها في النوع والطبيعة والشدة، لأن أشد البلايا — مثلا — الفتنة. وهي ليست قائمة بذاتها ولكن عندها صلة بالسنن المتعلقة بحياة الإنسان أو سنن

---

[7]. الإنسان 2

[8]. انظر : الزمخشري، *الكشّاف*، دار الريان، القاهرة، 1992، ج 4 ص 666

[9]. ابن منظور : *لسان العرب*، دار صادر، بيروت، 1906 ج 18 ص 90

[10]. انظر: الراغب الأصفهاني، *المفردات في رغيب القرآن*، دار المعرفة، بيروت. بدون سنة، ص 60

[11]. محمد : 31

الكون على وجه عام. وذلك على سبيل المثال، البلايا مع القدر، حيث أن بينهما علاقة وثيقة. لأن القدر علم الله بالأشياء (النظام والقوانين) قبل وجودها في اللوح المحفوظ.[12]

فانطلاقا مما سبق ذكره، يمكن أن يقال إن المصائب والبلايا هي من الأشياء التي قدرها الله تحت المقادير الثابتة لأن القدر يجلب وقوع الحوادث موافقا للسنن الإلهية. فعلى سبيل المثال، سنة تعاقب الليل والنهار، هذا قدرالله في الكون وسنته ونظامه. وأمثلة أخرى في الحياة الدنوية على هذا النمط.[13] وقد دلت عليه أيات أو نصوص مقطوعة منها: قوله تعالى (*وخلق كل شيء فقدّره تقديرا*)[14] ومعناه أن كل ما في هذه الحياة إنما يكون بتقديرالله على مقتضى حكمته البالغة وعلى نمط نظامه الشامل وعلى منهج سننه النافذة.[15]

وتتعلّق هذه السنن في المصائب والبلايا بقوانين أخرى وهي الأسباب والمسببات. والسبب في اللغة : كل شيء يتوصل به إلى غيره. كما قال تعالى (*وأتيناه من كل شيء سببا فأتبع سببا*)[16] وكما أنه تعالى أخبرنا أن كل شيء إنما يحدث بسبب ولذلك وجب علينا أخذه أو ربط السبب بالمسبب. وهذا كذلك نظام يخضع له جميع الناس مسلمهم وكافرهم. كما أنه لا ينافي الإيمان بالقدر

---

[12]. راجع: عبد الحميد السيباني، *الفتنة وموقف المسلم منها في ضوء القرآن*، دار القاسم، الرياض، 1996، ص 24

[13]. صالح الخطيب، *السنن الإلهية في الحياة الإنسانية*، مكتبة الرشد، الرياض، 2004، ص 59

[14]. الفرقان : 2

[15]. مصطفى المراغي، *تفسير المراغي*، مكتبة تجارية، القاهرة، 27:101، بدون السنة

[16]. الكهف : 84-85

والتوكل على الله.[17] وكما أنه كذلك لاينافي الحرص والكسب والتقدم إلى أحسن الأحوال.[18]

بالإضافة إلى تعلق هذه السنن بالسنة الأخرى وهي سنة التغيير. من حيث إن أحوال الأمم والمجتمعات تتغير من حال إلى حال، من سعادة إلى شقاوة، ومن تقدم إلى انحطاط، من فقر إلى غنى، ومن صحة إلى مرض، وهكذا بالعكس. فإن هذا كله ظاهرة اجتماعية وسنة كونية لابد منها. والقاعدة من ذلك قوله تعالى (*إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم*)[19] وقوله تعالى (*ذلك لأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإن الله سميع عليم*).[20]

ولا شك أن الجميع يعلم ترتيب مشيئة الله على البشر في التصرف والتنفيذ على سلوكهم. واتفق المفسرون على أن المراد من الأية السابقة هو أن الله لايغير ما أتاهم من نعمة بانتقام منه إلا أن يكون منهم تغير في النفوس والأفكار. فهناك ربط قوي بين الأفكار والسلوك.[21] والأدلة المعقولة على هذا

---

17. في رواية أنس، أنّ النبي (ص) قال "أعقلها وتوكل". انظر: *سنن الترميذي*، رقم 2517 ج 4 ص 668

18. في *صحيح مسلم* "المؤمن القوي خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك ولاتعجز" رقم 2664، ج 4، ص 2052

19. الرعد : 11

20. الأنفال : 53

21. *صالح الخطيب*، المرجع السابق ص 9

المبدأ هو قوله تعالى (*واتقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصّة*)[22] وقوله (*وما كان ربّك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون*).[23]

ولابد في هذا المقطع من الانتباه الخفيّ، بأن قدرة الإنسان على التغيير إنما هي هبة ومعونة من الله. إذ أنّ السنن الإلهيّة كلّها مرتبط بعضها ببعض[24]. ومن تدبّر وتفكّر في الأيات القرءانيّة حول المصائب والبلايا يجد معالمها وطبيعتها وطريقة التخلّص منها. وذلك لأن البلايا إنما تقع بمشيئته تعالى وقدره لا من غيره من المخلوق. وهذا جزء من تكريم الله على الإنسان، حيث أثبت له التصرّف والمحاولة في العمل. وجعل المحور الأساس في هذا الموضوع هو الإنسان المغيّر نفسه. وربط العمل بالسّبب، حتّى وفي الأعمال الفاسدة مثل الفتنة. قال تعالى (*فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة*)[25] وقوله تعالى (*كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون*).[26]

والأيات التي تتحدّث عن القدر في حقيقة الأمر هي كشف إيمان الإنسان وصبره على البلايا. وقد وضع الله ذلك للجزاء الدنيوي والأخروي من ثواب وعقاب. كما صرّح بذلك في قوله (*ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأنّ به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا*

---

[22]. الأنفال : 25

[23]. هود : 117

[24]. سيّد قطب، *في ظلال القران*، دار الشروق، القاهرة، 1992، ج 3:1535

[25]. النور : 63

[26]. الأعرف : 163

والأخرة)[27] والمعنى أنّ الإنسان خسر في الدنيا بالمصائب والبلايا، لعدم صبره عليها وخسر في الأخرة لضلاله.[28]

وجملة النصوص الشرعية في هذا الفقه، تؤكد على خصوصية الثبات وتدلّ دلالة واضحة على العمومية، كما في قوله تعالى (*ولن تجد لسنة الله تبديلا*)[29] والقصص في القرءان عن الأمم الماضية عامرة بالمصائب والبلايا والفتن الثابتة التي لا تتغيّر، للاعتبار والاتعاظ.[30]

وقد قسّم العلماء البلايا إلى قسمين: قسم خاصّ وقسم عامّ. فالخاصّة منها هي التي أصابت أفرادا في النفس والمال والأهل شخصا دون شخص. وهذا القسم يستوي فيه كل أجناس البشر مسلمهم وكافرهم صالحهم وفاجرهم. كما أصاب هذا القسم أنبياء وصالحين من عبادالله مثل أيوب عليه السلام في المرض، ونوح عليه السلام في عقوق الولد، وإبراهيم في الفدية، ويعقوب في الأولاد، وهكذا مثل ما أصاب محمّدا صلى الله عليه وسلّم وأصحابه وأهله.[31]

والعامّة من قسمي البلايا هي التي أصابت جماعات وأمما دون امتياز بينهم، مثل الزلازل والكوارث والفيضان والعواصف وغيرها من المهلكات والمدمّرات. وقد كان منها ما هو عقاب للأمّة الظالمة (*هل يهلك إلا القوم الظالمون*)[32] وتحقيق صراع بين الحق والباطل مثل الحروب (*واتقوا فتنة لا تصيبنّ*

---

27. الحج :11
28. سيّد قطب، المرجع السابق، ص 241
29. فاطر: 35
30. عبد السلام الشريف، *سنّة الله في عقاب الأمم*، دار المعراج، الرياض، 1994، ص 20
31. المرجع السابق، ص 21
32. الأنعام : 47

الذين ظلموا منكم خاصّة)[33] ولا فرق بين القسمين لأنّهما من جملة المصائب والبلايا لتقوية الأمم وتمكينها لمصالح الأجيال.[34]

الجانب الخيري والجانب الشرّى من المصائب والبلايا

لا شكّ أنّ البلايا الّتي أصابت الناس تكون بالخير والشرّ، (*ونبلوكم بالشرّ والخير فتنة وإليه ترجعون*)[35] وهذا اختبار يجب فيه الصبر والنجاح كما يجب فيه الشكر والفلاح. والله لايمكن أن يمتحن الإنسان إلاّ بهذين النوعين، بالمصائب والنعم ليعلم الإنسان من كان منهم يكفر ويشكر. فيكون بالخير والشرّ، والشدة والرخاء، والصحّة والمرض، بالفقر والغنى، بالطاعة والمعصية، وبالهدى والضلال.[36] ومن هذا النظر قال عمر ابن الخطّاب: بلينا بالضرّاء فصبرنا وبلينا بالسرّاء فلم نصبر.[37]

وقد علّل الإمام الغزالي في هذا النوع من الصبر لأنّ الصبر على السرّاء والنعم مقرون بالقدرة والاستطاعة. كما أنّ الصائم أقدر على الصبر من الطعام.[38] ومن شأن الانسان عدم الصبر في النعمة لأنّ النفوس تميل إليها أكثر.

ومن صور هذا النوع من البلايا ما يكون في مجال العلاقة الاجتماعيّة، مثل الخصومة والمؤامرة في الزوجين والأولاد والجيران والأصدقاء. والقاعدة في هذه

---

[33]. الأنفال : 25

[34]. انظر : يوسف القرضاوي، الصبر في القرآن الكريم، الرسالة، بيروت، 1980 ص 25

[35]. الأنبياء : 35

[36]. الزمخشري، المرجع السابق ص 116. وانظر: الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير، دار القلم، بيروت ص 507

[37]. الأصفحاني، *المفردات في غريب* القرآن، ص 61

[38]. الغزالي، *إحياء علوم الدين*، دار الحديث، القاهرة،1992 ج 1 ص 7

المشكلة إنما تكون بقوله تعالى (*ادفع بالّتي هي أحسن*).[39] وكذلك التفاوت في العلم والمال والجاه وغيرها من المباهات الدنيوية. قال تعالى (*هو الّذي جعلكم خلائق الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما أتاكم*) .[40] وجدير بالذكر هنا أنّ الجهاد نوع من البلايا (*أم حسبتم أن تدخلوا الجنّة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين*).[41] كما أنّه يكون البلاء بأنواع الأذى في الأنفس والأموال إلى غير ذلك من أنواع الشرك والعناد والعياذ بالله.[42]

والجانب الخيري من البلايا يحتاج إلى فهم عميق لأنّه لا يناله إلّا أولوالألباب. وفتنة الخير كلها ترجع إلى زينة الحياة الدنيا وزخرفها الّتي تجمع كلّ أنواع الخير (*إنّا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيّهم أحسن عملا*).[43] والزينة عند القرطبي كل ما على وجه الأرض من جهة خلقه وصناعته وإحكامه.[44] وهي تشمل جميع الإنسان لأنّه هبة وفضل من الله لأهل الأرض سواء كان مؤمنا أو كافرا. قال تعالى (*كلّا نمدّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربّك وما كان عطاء ربّك محظورا*).[45] والهدف لإعطاء هذه النعمة من الله لإظهار مواقفهم من زينة الحياة الدنيا، فهناك إنسان زلّت قدمه في الترف وقسا قلبه ولايعرف الخير، وهناك إنسان شكر الله وآثر لغيره عن نفسه فكان أنفع للناس. لذلك فقد حذّر الله فتنة

---

[39]. المؤمن : 96

[40]. الأنعام : 160

[41]. ال عمران : 142

[42]. محمد أبو فارس، *الابتلاء والمحن في الدعوة*، دار التوزيع، القاهرة، 1990 ص 44

[43]. الكهف : 7

[44]. القرطبي، المرجع السابق، ص 317

[45]. الإسراء : 20

الأموال والأولاد والأزواج حيث قال (*إنّما أموالكم وأولادكم فتنة*).[46] وأرشد إلى ما هو خير منها وهو المبادئ والقيم. (*المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربّك ثوابا وخير أملا*) .[47]

ومن هذا الجانب، القوة في الجسم والصحّة والأوقات الواسعة أوالفراغ. وهو أوّل سؤال إلى الإنسان يوم القيامة عن عمره وعن شبابه وعن أمواله[48]. فالبلايا والمصائب بالجانب الخيري أشدّ وطأة من الجانب الشرّي لأنّ المبتلين به أقوياء وقليل ماهم. وحقّا قلّ من صبر على الإغراء بالمتاع والرغائب والمناصب والجاه والثروة والأموال.[49]

نظرات وحكم وفوائد

من خلال التأمل في حقيقة المصائب والبلايا وما في معناهما من السنة الإلهية، وجدنا الحكم والفوائد سواء كانت ظاهرة أوخفية تتجلى في نقاط تالية :

1. **يقظة الأمة الإسلامية**

إن من أسرار المصائب والبلايا على الناس معرفة مالهم وما عليهم في أنفسهم. ومن هذا المنطلق سوف يعرف ربه وأنه لامفر للإنسان من قضاء الله وقدره. لأنه تعالى هو الأحد الذى يتصرف كيف يشاء في هذا الكون وحده ولايسأل عما يفعله. وسوف يتحقق ذلك بالنسبة للإنسان في

---

[46]. التغابن : 15

[47]. الكهف : 46

[48]. كما روى *في الصحيح* : نعمتان مغبون فيها كثير من الناس الصحة والفراغ. رواه البخاري 7:170

[49]. سيّد قطب، المرجع السابق: 4:377

موضع الضعف والانكسار والخوف والرجاء. لأنه تعالى إذا أراد أن يعز عبده ابتلاه ونصره ويكون النصر على قدر قبول العبد وانكساره وخضوعه.[50]

والبلايا التى تصيب الإنسان قد تشاركه هزة وجدانية تجعل الإنسان مستيقظا ومستدركا أخطاءه وغفلاته. ومن فوائده وحكمه نفي الدنيا وبعث النفس على العمل الصالح استعدادا ليوم المعاد.[51] وعند الابتلاء والمصائب يستيقظ الإنسان ويدرك أن الدنيا نعمة زائلة. والله يدم الغفلة والنسيان من الإنسان على ما قدم في الدنيا من العمل. "ومن أظلم ممن ذكر بأيات الله فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه".[52] وهذه اليقظة تؤدى إلى إعمال الفكر إلى الجهة المطلوبة، لأن الإنسان إذا صحت فكرته أوجبت له البصيرة فيستطيع أن يفرق بين الصحيح والسقيم.

ومن فوائد اليقظة الحذر من مكائد الأعداء والعوائق، والحصول على توبة الله وإنابته لأن معنى الإنابة في الحقيقة شامل للمحاسبة وإعداد النفس إلى المستقبل.[53]

2. **التمحيص الباكر والتمييز الباصر**

إن الصورة الأصلية الظاهرة لحقيقة الإنسان تظهر في نزول المصائب والبلايا. وفي هذه التجربة سوف تكشف حقيقة الفرد لأن من يدعى

---

[50]. انظر: ابن القيم، *زاد المعاد فى هدى خير العباد، الرسالة*، بيروت 1998. ج 3 ص: 122

[51]. محمد الدمشقي، *برد الأكباد عند فقد الأولاد*، دار النصر، القاهرة، 1988، ص: 60

[52]. الكهف : 57

[53]. ابن القيم، *مدارج السالكين*، الرسالة، بيروت، 1998، ص: 210

الحسن ليس بحسن ومن يدعى الكرم ليس بكريم. فالمصائب والبلايا لايقويها كل الناس إلا الأقوياء.[54] وبهذا البلايا يتميز الصدق والكذب، لأن الصدق أساس الإيمان وقبول العمل. وسوف يتفرق بنفسه الإيمان والنفاق في جميع الأحوال، في الأمن، أو في السفر، أو في الحرب، كما يتميز الصدق من الكذب في عقائد الأمة وموقفها الإقتصادى أو الاجتماعى.[55]

ومن هذالنطاق كذلك ينكشف تمييز الصبر والخجل والخيانة والجهل والعلم. والنبي (ص) حثّ أصحابه على الصبر والأمل وحذر القنوط واليأس لأنه يؤدى إلى الإهانة واستسلام الأمر إلى الأعداء.[56] كما أنه بهذا النطاق تميز الشكر والجحد، لأن الشكر اعتراف بنعمة الله وإحسانه. والشاكر من استعمل نعمة الله على الوجه الصحيح المعروف والجاحد عكسه.[57]

3. **التقدم الأخلاقي**

البلايا على الوجه العام تعلى صاحبها نحو الأعلى وتصوغه صياغة جديدة إلى التقدم الأخلاقى والارتفاع السلوكى. لأنها تمنع مساوئ الأخلاق ورذائلها وتمنع الشر وجميع أنواع المنكر، وكيف يكون ذلك؟ والجواب على هذا السؤال لأن الله أعلم بمصالح عباده وأعلم أن من عباده من لا يصلحه إلا البلايا والمصائب.[58] وقد ضرب الله مثلا على هذا المثال

---

[54]. محمد أبو فارس، المرجع السابق، ص: 33

[55]. السحيبانى، المرجع نفسه، ص: 39

[56]. مدارج الساكن، ص: 215

[57]. السحيبانى، ص: 401

[58]. انظر: ابن عبد السلام، *فوائد البلوى*، دار الفكر، بيروت، 1991، ص: 9

في قوله (*ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض*).[59] وقد علم الجميع أن الطغيان والملك وصاحب الجاه إنما يطغى لكثرة المال والنعم والأولاد والغرور بالصحة، كما أن الغنى والترف يؤدى المهلكات في جميع الأمم والمجتمع. ولذا كان الأنبياء والصالحون أشد الناس بلايا ومصائب ليتوجهوا إلى الله.

وقد ورد في الأحاديث الصحيحة أن البلايا والمصائب التى تصيب الإنسان إنما تكون بقدر دينه. قال عليه الصلاة والسلام "إذا أحب الله قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط".[60] فيكون الرضا بالمصائب والبلايا مقياسا لصلابة دين الإنسان وعلاقته مع الله. والرضا في أعلى مرتبة من الأخلاق الفاضلة التى تؤتى ثمارا أعظمها الطمأنينة والسكون. ولاشك أن من حكم المصائب والبلايا حصول رحمة أهل البلايا ويكفي في هذا العطاء من جزيل النعم. وكذلك العفو والحلم والصبر. هذه كلها ثمرة الرضا بالمصائب والبلايا.[61]

4. **تعظيم الأجور وإزالة الهموم**

من مبادئ الشريعة، أن كل ما يعانى الإنسان من المصائب والبلايا يأتى لصاحبه كفارة الذنوب والسيئات والهموم والدخول في الجنة. لاسيما للذين عرفوا أخطاءهم وطلبوا منه مغفرة وفضلا. وهناك نصوص شرعية دلت على أن المصاب بالبلايا تكفر سيئاته كبيرها وصغيرها. قال عليه الصلاة والسلام "لايصيب المؤمن من وصب ولانصب حتى همّ يهمه

---

[59]. الشورى: 27

[60]. رواه الترمذى، *الجامع الصحيح*، حديث رقم 2896، ج 4، ص: 600

[61]. ابن عبد السلام، نفس المرجع، ص: 11

وشوكة يشوكه إلا كفر به سيئاته".[62] بل ويعوض ويكافئ مايفقده في الدنيا كماحصل لأيوب عليه السلام وأبى طلحة على صبرهما. وهذا الجزاء على الصبر والرضا، لأنهما من الأعمال الصالحة. قال تعالى (*إنما تجزون ما كنتم تعملون*).[63]

ومن ضمن الحكم والفوائد للمصائب والبلايا في تنظيم الأمة وتمكينها ماهو خفي لايدرك. قال تعالى (*فعسى أن تكرهوا شيءا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا*).[64] وقال (*وعسى أن تكرهوا شيءا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيءا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لاتعلمون*).[65] وجاءت هذه الأية في فرض المشقات المكروهة على الإنسان وهو الجهاد في سبيل الله. ولكن المقصود ليس مقصورا على الجهاد فقط، بل في جميع الأمور كلها لأن الحكمة مخفية على الإنسان، وذلك لأجل الإيمان بالغيب وحسن الظن بالله. قال النبي (ص): "*حسن الظن من حسن العبادة*".[66] وخير مثال على هذا السر الخفي هو حادثة الإفك التى أصابت زوجة النبى (ص) عائشة رضي الله عنها. ظاهر هذه الفتنة أو المصيبة أنها شر، ولكنها خير لأنها درس على المجتمع وتربية للأمة. حيث قال الله تعالى (*إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لاتحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم*).[67] والجانب

---

[62]. رواه البخاري، حديث رقم 564، ج 7، ص: 2

[63]. الطور : 16

[64]. النساء : 19

[65]. البقرة : 216

[66]. رواه أبو داود، حديث رقم 4993، ج 5، ص: 266

[67]. النور : 11

الخيرى من هذه المصائب كشف النفاق ومكائد الأعداء من الداخل وحكم أخرى خفية لايعلمها إلا الله.[68]

5. **تقوية الأمة وتنظيمها**

فوائد المصائب والبلايا وحكمها للأفراد قد تكون للجماعة والأمة ولايمكن التفريق بينهما في حال دون حال. ومن تلك الحكم أنها تربية وتقوية للأمة. وأنها وسيلة لترسيخ الإيمان والتزيّن بالصبر لأداء رحمة الجماعة. وخير مثال على هذا القبيل هو الرعيل الأول الذى تربّى على مدرسة النبي (ص) والذى قام بأعباء الرسالة والدعوة مع تحمل تام للأمانة والعناء والثبات. فيكون بهذا الصبر تمكين ونتظيم للأمة كي تكون خير أمة أخرجت للناس كما يسوغها القرآن. كما يظهر من هذه المصائب والبلايا شهادة الله على الناس في الإمكان والتمكين. قال تعالى (*لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا*).[69]

وأجلّ من ذلك كله، أن خيار الناس في الأجيال يظهر جليا بعد المصائب والبلايا. بعد رسوخ المصائب والبلايا يكون الناس معادن في الشجاعة والكفاح والثبات والكرم وخدمة الامة، فتكون الدعوة بعيدة عن الخبث فتكون نقية صفية، لأن أصناف الناس المعاندين للدعوة عرفت وهم المنافقون والمتساهلون والغالون. وبالإضافة إلى ذلك فإن البلايا تساعد على تنقية الصفوف وجماعة المسلمين.[70] والهدف الأساسى من تقوية صفوف

---

[68]. سيد قطب، المرجع السابق، ص: 2

[69]. الحج : 78

[70]. منير غضبان، *فقه السيرة النبوية*، طبعة أم القرى، مكة، 1992، ص: 191

الأمة من خلال البلايا هو تعميق المحبة والأخوة فتكون أمة قوية مماسكة يصعب اختراقه وهدمه، لأن البلايا تؤلف القلوب وتوحّد الصفوف ويتأسّى بعضهم ببعض فتزداد المودة، ولأن فيها من الأجواء المتلائمة في التراحم والتعاطف، ومعلوم أن الشدة تزيد الأمة قوة وقربة.[71]

وهنا ظهر القدوة في الصّبر والشهادة للأمة من الرعيل الأول في معارك الأعداء فكريا أو معنويا. وهم قدوة ومنارة يقتدى بهم على الطريق الصحيح السليم. ومن مميزات الأمة الإسلامية في مواجهة البلايا والفتن، بروز روح التحدى. والمثال على ذلك مقاومة الهجمات الصليبية في الحرب الصليبي، وردود أفعال في مشاركة الدعوة في البلدان، وانتشار روح الجهاد ضد الاستعمار الثقافي والفكرى والعسكرى، هذا مثل ما شهدنا في الأوان الأخرة في كوسوفو، والبوسنة، وفرنسا، وفلسطين والعراق وغيرها.[72]

فلولا المصائب والبلايا لااختفي روح التحدى والكفاح الديني. لذلك كله، فإن البلايا والفتن قد أدت إلى التمسك بهذا الدين، وظهر ذلك واضحا في بلاد جنوب شرق أسيا خلال الاستعمار الغربي والذى يجعل هذه الولاية مرادفا للاسلام. فعالَم الملايو هو عالَم إسلامى وعكسه كذلك، فأصبح الإسلام عنصرا أساسيا في شخصية المرء الملاوى.[73]

---

[71]. إبراهيم حجازي، *الجوانب المشرقة للابتلاء*، مجلة المجتمع، عدد 1219، سنة 1996، ص: 58

[72]. عبد الرحمن تشيك، المسلمون فى جنوب شرق أسيا

[73]. المرجع السابق، ص: 47

6. الانتباه العامّ للعوائق والمكائد

لكل أمة أعداء وخصوم، وعدو الأمة وخصمها هو ما كان من الداخل وما كان من الخارج، ومن هنا يجب الانتباه لمحاولة الأعداء في الفتن الداخلية. وهذا أمر قديم يوجد منذ القدم، حيث تدخّل أهل الكتاب إلى صفوف المسلمين وأحدثوا الفتن في الخوارج والأحزاب ابتداء من مشهد عثمان بن عفان إلى يومنا هذا.

وقد نبه النصوص القرآنية إلى الخطر، حيث قال تعالى (*يأأيها الذين أمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين*).[74] ونظرا بأن البلايا والفتن التى تصيب الأمة كانت من وراءها حكمة بالغة، لابد للأمة أن تتنبه إلى من يثير الفتن وكيف يكشف أساليبها والخطط والمنهج فيها. كما ينبغى للأمة كذلك أن تعرف الضعف والخلل والظروف في الفتن على كشف أساليب الصفّ الآخر والوسائل والمكائد والمكر. والهدف في هذه النقطة هو التعرف عليه ليكون الغلبة لنا ولاعلينا. ومن الحكم أن الله هيّأ وأعدّ للإنسان منازل الجزاء الأوفي في الجنة بالمصائب والبلايا في الدنيا. ومنها منزلة الشهداء التى أعد الله له بعد النجاح من المصائب والبلايا. قال تعالى (*وليعلم الله الذين آمنوا ويتخد منكم شهداء*).[75] ومعنى هذا فليكرم فئة منكم بالشهادة ليمنحها عنده كرامة الشهداء مادامت أعمارهم قد انتهت وآجالهم قد حلت فلئن يموتوا شهداء

---

[74]. آل عمران : 140

[75]. آل عمران : 140

فهو خير لهم.[76] وفي هذه الأية بيان الحكمة من البلايا للمؤمنين بظهور الكفار في غزوة أحد ومنها تميّز أهل الإيمان والصبر من أهل النفاق والكفر، ومنها إدراك بعض الصحابة الشهادة في سبيل الله[77].

ومن حقيقة السنن الإلهية في البلايا، لو أنزل للأمة النصر والتمكين على الوجه الدائم، لانتشر البغي والظلم. فلا يصلح للأمة إلا المصائب بالسراء والضراء، والشدة والرخاء، لأن الله هو المدبر الحقيقى للكون والعالم كله وهو خبير بحكمته لعباده. قال تعالى (*ولاتهنوا ولاتحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين. إن يمسسكم قرح قد مس القوم قرح مثله. وتلك الأيام نداولها بين الناس*).[78] وهذه هي السنة الإلهية في المداولة بين الناس في جميع المواقف والأحوال. ومعنى المداولة أي نجعلها إقبالا وإدبارا، نعمة ومصيبة، نصرا وهزيمة، ولذلك فإن الحكمة في البلايا والمصائب تقتضى ذلك. ولولا هذا لما كان للإرادات الحرة خيار في الإيمان والكفر والمعصية والطاعة.[79]

وأخيرا، فإننا وجدنا للمصائب والبلايا الفقه الخاص يكون فيه حكم وفوائد وعبر ونظرات للفرد والمجتمع والأمة والبشر، خاصتهم وعامتهم. واقتضت حكمة الله في ذلك دروسا بالغة لأنه وحده تعالى هو الذى عرف مصالح العباد في الدنيا والأخرة. والله أعلم.

---

[76]. عبد الرحمن الميدانى، *بصائر المسلم المعاصر*، دار الفكر، بيروت، ص: 386

[77]. الميدانى، المرجع السابق، ص: 386

[78]. آل عمران : 139

[79]. الميدانى: نفس المرجع، ص: 850

الخاتمة :

ليس المعنيّ بالفقه في هذا البحث مصطلحا اتفق الفقهاء عليه، بل هو فقه بمعنى الكلمة، وملخص على ما قد يشوبه مفهوم خاطئ حول النصوص الناطقة عن المصائب والبلايا التى تعم البلاد في إطار الواقع أو في أفاق الفكر. ومن هذا السرد اللطيف توصل الكاتب إلى نتائج عامة أهمها :

- إن المصائب والبلايا التى تعم المجتمع لها علاقة بالسنن الإلهية الأخرى مثل سنة التغيير والمدوالة والقدر. كما أن لها حكم وفوائد وعبر ودروس متنوعة، سواء على المستوى الفردي أو الجماعى أو الأمة. وهي في نهاية المطاف تحمل الأمة نحو التمكين والثبات والقوة والتنظيم، كما أنها تؤدي إلى تنقية الصفوف وتوحيدها، والتعرف على مواضع الخلل والضعف على الأمة.
- من أسباب تأخر سير الأمة الإسلامية، عدم الإدراك والفهم على تلك السنن في المصائب والبلايا، وقد تعطلت منهم الأخذ بالأسباب، والتعلم، والاستعداد بالقوى البشرية والمادية، كما لايتعلمون أسباب السقوط والانحطاط في الأمم والحضارات. والعلماء والمثقفون عليهم أن ينشروا هذا النطاق على ضوء النصوص لكي يسرع إخراج خير أمة أخرجت للناس.
- إن لرب العالمين سننا وقوانين في التعامل مع الكون والحياة الإنسانية. ومن هذا السنن المصائب والبلايا على الإنسان التى تقع في الجانب الخيرى وفي الجانب الخيرى. ولإقامة المصالح الإنسانية في الحياة الدنيا لابد أن نتعامل مع هذه المصائب والبلايا وفق النصوص الواردة في هذا الفقه.

- إن النوصوص القرآنية خير وسيلة لتوضيح السنن واستنتاج هذا الفقه لأنها مملوءة بالعبرة والدروس استفادة وتطبيقا. وهذا يتعلق بالجوانب الإيجابية والسلبية للأمة من حيث قدر الفهم والتقصير لهذا الفقه، والعمل بما يوجب سيرة الأمة نحو التقدم.

والله أعلم بالصواب

قائمة المراجع

الأصفهاني، محمد الراغب، *المفردات في غريب القرآن*، دار القلم، بيروت، 1990

الألوسي، شهاب الدين محمود، *روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني*، دار إحياء التراث، بيروت، 1985

ابن القيم الجوزي، *زاد المعاد في هدى خير العباد، الرسالة*، بيروت، 1997

_____ ، *مدارج السالكين*، الرسالة، بيروت، 1989

ابن منظور، *لسان العرب*، دار صادر، بيروت، 1998

أبو داود، سليمان بن الأشعث الجشاني، *سنن أبي داود*، دار السلام، الرياض، 2000

أبو فارس، محمد عبد القادر، *الابتلاء والمحن في الدعوة*، دار التوزيع، القاهرة، 1990

البخارى، محمد بن اسماعيل، *الجامع الصحيح*، دار الريان، القاهرة، د. ت

الترمذى، أبو عيسى محمد، *جامع الترمذى*، دار السلام، الرياض، 2000

الخطيب، شريف صالح، *السنن الإلهية في الحياة الإنسانية*، مكتبة الرشد، الرياض، 2000

الدمشقي، محمد ناصصر، *برد الأكباد عند فقد الأولاد*، دار النصر، القاهرة، 1988

الزمخشري، أبو القاسم محمد بن عمر، *الكشاف في عوامض التنزيل*، دار الريان، القاهرة. 1950

سيد قطب، *في ظلال القرآن*، دار الشروق، القاهر، 1992
الشريف، عبد السلام نصر الله، *سنة الله في عقاب الأمم*، دار المعراج، الرياض، 1992
الصابوني، محمد بن على، *مختصر تفسير ابن كثير*، دار القلم، بيروت، 1998
العز ابن عبد السلام، *فوائد البلوى*، دار الفكر، بيروت، 1991
الغزالى، أبو حامد محمد بن محمد، *إحياء علوم الدين*، دار الحديث، القاهرة، 1990
غضبان منير، *فقه السيرة النبوية*، طبعة جامعة أم القرى، مكة، 1992
القشيري، مسلم بن الحجاج، *صحيح مسلم*، دار المعرفة، بيروت، 1997
القرضاوي، يوسف، *الصبر في القرآن الكريم*، الرسالة، بيروت، 1985
القرطبى، أبو عبد الله محمد، *الجامع لأحكام القرآن*، دار الفكر، بيروت، 1995
المراغى، أحمد مصطفي، *تفسير المراغى*، مكتبة تجارية، القاهرة، بدون سنة
مجلة المجتمع، عدد 1219 سنة 1996
مجلة المجتمع، عدد 1286 سنة 1998
الميدانى، عبد الرحمن حبنكة، *بصائر المسلم المعاصر*، دار الفكر، بيروت، 1998